

من سير
أعلام الشهداء

رَجُلٌ بِأَلْفِ
[طَارِقُ الْوَحْشَ]





رجلُ بِأَلْفِ

[طارقُ الْوَحْش]

هو أَسْدُ اللهِ، وَأَسْدُ الْمُجَاهِدِينَ، مَنْ يَطْمَئِنُ الشَّجَاعَانِ بِجُوارِهِ وَيَتَجَرَّأُ الْجَبَانُ بِرُؤْبِيَّتِهِ، لَا يَعْرُفُ الْخَوْفُ طَرِيقَهُ، وَلَا التَّرْدُدُ وَالْخُورُ فَوَادَهُ، يَنْهَضُ إِذَا قَعَدَ الشَّجَاعُ، وَيَتَقَدَّمُ إِذَا تَبَارَى الْفَرَسَانُ.

هو أبو أحمد "طارقُ الْوَحْش" كما كان يُسَمِّيهُ أَفْرَانُهُ، من مدينة الرمادي رمزُ الإباء والثُّورَة على الظُّلْمِ وَالْطُّغْيَانِ الْأَمْرِيْكِيِّ.

كانَ منْ أَوَّلِيَّنَ مَنْ انْظَمَ إِلَى رَكْبِ التَّوْحِيدِ وَالْجَهَادِ، بَلْ مِنْ مُؤْسِسِيهِ وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو مَصْعَبَ "رَحْمَهُ اللهُ" يُشَقُّ فِيهِ ثُقَّةً مَطْلَقَةً وَكَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ، كَانَ بَطْلُنَا عَسْكَرِيُّ مُتَمَرِّسٌ، فَهُوَ عَلَىٰ خَبْرَةِ عَالِيَّةٍ فِي جَمِيعِ الْأَسْلَحَةِ الْخَفِيفَةِ وَالْمُتَوْسِطَةِ وَكَذَلِكَ عَلَىٰ التَّشْرِيكِ وَالْمُتَفَجِّرَاتِ.

فَهُوَ مِنْ أَوَّلِيَّنَ مَنْ صَنَعَ الْأَحْزَمَةَ النَّاسِفَةَ، وَطَوَّرَ تَشْرِيكَ السَّيَّارَاتِ وَأَدْخَلَ الْفَتَائِلَ الْمُتَفَجِّرَةَ فِي التَّشْرِيكِ وَأَحْسَنَ اسْتِخْدَامَهَا، كَذَلِكَ كَانَ لَهُ السَّبِقُ فِي تَحْطِيمِ أَوْ كَارِ الْكُفْرِ وَالرَّدَّةِ فِي بَغْدَادِ وَغَيْرِهَا.

وَمَمَّا أَذْكُرُهُ جَيِّدًا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي رَصَدَ وَنَفَّذَ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنْ إِخْرَانِهِ فَنْدَقَ شَاهِينَ. وَطَارِقُ هُوَ مَنْ قَامَ بِعَمَلِيَّةِ مَحَافِظِ الرَّمَادِيِّ وَأَكْرَهَهُ عَلَىِ الْإِسْتِقَالَةِ بَعْدَ أَنْ أَعْتَقَلَ أَوْلَادَهُ الْثَّلَاثَةَ، وَلَمْ يُرْجِعُهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ الْحَافِظَ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ وَالْتَّعْهِدِ بَعْدَ عَوْدَةِ إِلَىِ عَمَلِهِ وَمُسَاعَدَةِ الْمُخْتَلِلِ، فَرَأَيْتُهُ فَرَحًا جَدًا يَقُولُ ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي سَبِيلًا فِي إِنْقَاذِهِ مِنَ النَّارِ)). لَكِنَّ كُلَّ مَا مَضِيَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا إِلَىِ جَانِبِ مَا رَأَيْتُهُ مِنْ أَبِي أَحْمَدَ فِي الْفَلُوْجَةِ، فَلَمَّا اشْتَدَّ الْخَطْبُ وَعَرَفَ الْجَمِيعُ قُرْبَ الْاقْتِحَامِ الْعَامِ لِلْفَلُوْجَةِ عَرَضَتُ عَلَىِ الشَّيْخِ أَبِي مَصْعَبَ "تَقْبِلَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ" أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ الْمَسْؤُلُ الْعَسْكَرِيُّ لِلْمَدِينَةِ، فَوَافَقَ الشَّيْخُ عَلَىِ تَعْيِينِهِ مَسْتَشَارًا عَسْكَرِيًّا وَرَئِيْسًا



للجنة المسالة والمتابعة، فقد كان طارقُ جريئاً جدّاً يقتتحمُ المهالك ولذا رفضَ الشّيخ تعينه مسؤولاً واكتفى أن يكون مستشاراً فقط .

وفي هذه الفترة عرفَ طارق الإداريّ والعسكريّ، فقد اجتمعَ مع القادة الميدانيّين للفلوجة وعرضَ خطّته، كانت الفلوجة تقربياً لا يوجد بها كتيبة دفاع جويّ منظمة ومرتبة لهذا الهدف، بل سلاحٌ مع هذه الكتيبة وآخر مع أخرى.

فأقترح تشكيل سرية الدفاع الجوي وبدأ الرجل:

أ- اختارَ نخبةً من الأبطال أوّلاً ثمّ أدخلَهم دورات تدريبيّةٍ مكثّفةً وسريعةً كلّ مجموعة على سلاح عينه، فهذه على الدوشكا وأخرى على (٣٧) والثالثة على (٥٧).

ب- سعى في جلب ضابط سابق يقوم بإدارة هذه السرية ويتولى هو بنفسه أي الضابط تحديد أماكن توزيع الأسلحة ومربعات السيطرة ويأمّرُ بإطلاق النار ونقل القطاعات، وإلى غير هذا من الأمور المهمة.

ج- جمعَ كلّ ما لدينا من سلاح جويّ وأدخله للصيانة وبحضور الطاقم المختص بكل سلاح وحتى يتعود على تصليحه وصيانته بنفسه.

د- تمّ تحديد نقاط كثيرة في الفلوجة لتكون محالاً لإشعال النّقط فيها لتكون كثافة دخانية تمنع الرؤيا، وحتى يضطرّ طيران العدو إلى النّزول كثيراً مما يدخله في مرمى نيراننا.

وفي تلك الأثناء ذهبتُ مع طارق إلى الصناعة، أثخن نقاط الجبهة، وزرّنا نقطة الإخوة الأكراد فرسانُ الصناعة، فأخذنا أحد أهمّ أبطالها وهو الأخ (شامل) إلى منطقة الرصد والقنص، وأثناء رصّدنا للسرّيع ونقاط العدو رأيتُ غباراً كثيفاً ومجاهاً في منطقة المعارض، ونظرَ طارق فإذا هي دبابات العدو كانت تسيرُ على السرّيع ثم دخلت مسرعة في اتجاه خطّ الإخوة بالشهداء.

و كنّا في مساء العاشر من رمضان تقربياً، فأسرعنا بالعوده إلى الإخوة في الشهداء،



وذهب طارق إلى مجموعة حلفية أعدّها لهذا الأمر، يعني المعونة والمساعدة دون الاشتراك المباشر في جبهة من الجبهات، وكانت هذه هي مجموعة التي يعتمد عليها منذ كان محل عمله بالرمادي.

وأخذنا عدداً من الإخوة وانطلقنا باتجاه العدو وكان المغرب على الأبواب وهنا رأيت طارق الوحش على حقيقته، ليس جعبـة الـ RBG وحمل قاذفـة وقال لي لا بد أن تبقى في الخلف حتى إذا احتجنا إلى مدد تقوم بالأمر ثم دوى زفير الأسد، الله أكبر الله أكبر خربـت أمريكا، ((سيهزـم الجمع ويولـون الدبر))، الصـبر الصـبر يا عبـاد الله.

وتقـدم إلى أقرب نقطة للعدـو وبدأ الإخـوة يلتـفون حولـه ويتـشـجـعون بـرؤـيـته بينـهم فقد كانوا يـسمـعون عن شـجـاعـته وإـقدـامـه. واستـمـرـ الاشتـباـك طـويـلاً، وفي هـذـه الأـثـنـاء أـصـابـ الإـخـوة جـوـعـ وـعـطـشـ شـدـيـدـين فقد كانوا أـصـلـاً صـيـاماً وـالـعـدـو لم يـأـتـ إلا السـاعـة الرـابـعـة قـرـبـ المـغـرـبـ فـلـمـ يـشـاعـوا أنـ يـفـطـرـوا.

فـأـرـسـلـتـ في إـحـضـارـ ما يـمـكـنـ إـحـضـارـهـ من مـاءـ وـطـعـامـ عـلـىـ شـدـدـةـ وـخـوفـ شـدـيـدـ أـلـمـ بـالـإـخـوةـ، إـذـ أـنـ الـقـاصـفـةـ كـانـتـ فـوـقـاـ وـتـضـرـبـ كـلـ مـاـ يـدـبـ عـلـىـ الـأـرـضـ أـوـ لـاـ يـدـبـ مـنـ بـنـيـانـ وـمـاـذـنـ، وـكـذـلـكـ طـائـرـاتـ الـاسـطـلـاعـ الـمـتوـسـطـةـ وـالـمـيـدـانـيـةـ مـثـلـ (الـنـسـرـ وـالـصـقـرـ) وـالـيـتـيـ يـطـلـقـهـاـ الـعـدـوـ لـلـاسـطـلـاعـ الـقـرـيـبـ وـعـلـىـ اـرـتـفـاعـ مـنـخـفـضـ جـدـاًـ وـحـتـىـ يـشـغـلـ الـخـصـمـ بـالـسـيـطـرـةـ عـلـىـهـاـ وـهـيـ بـدـورـهـاـ تـنـقـلـ صـورـةـ الـمـقـاتـلـ الـذـيـ يـضـرـبـهـاـ وـأـمـاـكـنـ وـجـوـدـهـ، فـعـلـمـ أـنـهـ مـنـ الـخـطـأـ الـانـشـغالـ بـهـاـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ خـطـورـهـاـ.

أـقـولـ زـوـدـنـاـ الإـخـوةـ بـمـاءـ قـلـيلـ وـطـعـامـ، وـأـعـطـانـيـ هـذـاـ دـرـسـاـ فـيـ ضـرـورـةـ أـنـ يـكـونـ كـلـ مـجـاهـدـ يـتـجـهـزـ بـقـلـيلـ مـنـ الطـعـامـ (ـكـالـرـيـبـ وـالـتـمـ) وـكـذـلـكـ المـاءـ وـلـاـ يـفـارـقـهـ ذـلـكـ أـبـداـ.

وـقـتـلـ فـيـ هـذـهـ الـأـثـنـاءـ أـحـدـ الإـخـوةـ وـتـمـ سـحـبـهـ إـلـىـ الـخـلـفـ وـأـثـنـاءـ إـحـضـارـهـ رـأـيـتـ الإـخـوةـ يـكـبـرـونـ فـتـعـجـبـتـ فـلـمـ قـرـبـواـ مـنـ زـالـ عـجـيـ، فـوـالـلـهـ شـمـ وـالـلـهـ مـاـ زـالـ رـائـحةـ مـسـكـ



أخي هذا - والذي أصلاً لا أعرف اسمه إلى يومنا -، أقول ما زالت في أنفي ولقد انتشرت رائحة المسك منه إلى مسافة مائة متر، وهذا ما لم يسبق له مثيلٌ قطُّ، فقد صار مشهوراً والحمد لله في قتلانا رائحة المسك ولكن ذلك يكون إذا اقتربت من الشهيد وشممت مباشرة دمه أو ملابسه، أما على مائة متر فلا.

وبقيت إلى جانب الشهيد خوفاً عليه من السباع المنتشرة في المنطقة، ثم وضعته في سيارة وانطلقت به ليدفن، وما دفنه غيري من الإخوة.

سبحان الله رجل هذا حاوله لا يُعرف اسمه ولم يدفنه إلا واحد، وكلاب أهل النار قائم الدنيا ولا تقدر إذا ماتوا، هم عند الناس والله أحق من الجيف، لكن حسب أخي أن الله يَعْرُفه.

وعودة إلى طارق الوحش فقد عدت إلى الجبهة وسألت عنه فقالوا ما زال في المقدمة وحوالي الساعة الثانية ليلاً سمعت تكبير أبي أحمد يدوّي ثم سمعت صوت آليات وما هو إلا قليل حتى جاء البطل وقال انسحب العدو والحمد لله.

ومضت الأيام واقتتحم العدو مستشفى الفلوحة عند صلاة العشاء في الخامس والعشرين من رمضان على ما ذكر. وبت تلك الليلة أنا وأبي عبد الله الشامي مرابطين حداء الجسر الجديد وفي نقطة حددت سلفاً لتكون محل الإدارة إذا تم ما حدث، وأصبح الصباح وكان الجو بارداً جداً فاستعرت معطفاً من الأخ عمر حديد، ثم قابلت الوحش وقلت له ما العمل، ثم أردفت قائلاً: أشعر أن أضعف نقاط الجبهة من جهة (الجيف) فمع أنه لا وقت لكن يا ليت تذهب أنت ومجموعتك تسد هذه الثغرة (وقد كانت من نصيب الشيخ عبد الله الجنابي وإنخوانه جراهم الله كل خير) وأثناء حديثنا قطع القناصة شارع الحضرة المحمدية.

ومضى الرجل لعمله لكنه وفي منتصف الليل بل قبل ذلك حدث ما توقعت وللأسف بعد فوات الأوان، دخل الأمريكان من جهة الجيف واحتربوا المنطقة بطريقة رأس السهم ثم انتشروا في الداخل.



وَحُوَصِرَ الإِخْرَوَةُ فِي الْعَسْكَرِيِّ وَالْجُولَانِ، بَلْ فَوْجَيُّهُ الإِخْرَوَةُ فِي الْعَسْكَرِيِّ
بِالْأَمْرِيَّكَانِ مَعْهُمْ فِي الْأَفْرَعِ وَبَدَأَتْ الْمَطْحَنَةُ وَالْمَلْحَمَةُ.

وَأَمَّا طَارِقُ الْوَحْشِ فَقَدْ اتَّخَذَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى نَزَّالِ مَقْرَبِ الْقِيَادَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَقَالَ
مَا الْعَمَلُ: قَلْتُ الْعَمَلُ أَنْ نَقْسِمَ الْمَدِينَةَ نَصْفَيْنِ جَنُوَّيْ وَشَمَالِيْ ثُمَّ نَدْافِعَ عَنِ الْقَسْمِ
الْجَنُوَّيْ وَنَغْيِرُ عَلَىِ الْقَسْمِ الشَّمَالِيِّ حَتَّى نَسْتَرِدَ مَا فَقَدْنَاهُ مِنْهُ وَنَعَاوَنُ مِنْ حُوَصِرَ مِنْ
إِخْوَانَنَا.

وَتَمَّ تَكْلِيفُ أَبِي أَحْمَدِ طَارِقٍ بِعَهْمَةِ إِنْشَاءِ خَطِّ جَبَّهَةِ يَحْمِيِ الْقَسْمَ الْجَنُوَّيِّ وَقَدْ فَعَلَ
الرَّجُلُ وَسَدَ الشَّغْرَةَ. وَمِرَارًا حَوَّلَ الْأَمْرِيَّكَانِ اخْتِرَاقَ الْخَطِّ لَكِنْ أَبِي أَحْمَدَ كَانَ لَهُمْ
بِالْمَرْصَادِ يَسِدَّ هَذِهِ، وَيُجَبِّرُ هَذِهِ وَاسْتَمِرَّ بِهِ الْحَالُ هَكَذَا أَيَّامَ وَالْعَدُوُّ لَا يُسْتَطِيعُ
الْتَّقْدِمُ، وَكُلَّمَا احْتَاجَ إِلَى إِخْرَوَةِ أَوْ سَلاَحٍ أُرْسَلَ إِلَيْهِ وَزُوْدَتْهُ بِذَلِكِ وَكَانَ إِخْرَوَةُ فِي
هَذَا الْوَقْتِ يَتَسَاقَطُونَ تَسَاقُطًا أُورَاقَ الْخَرْفَ لِكُنَّهَا غَضَّةً طَرَيَّةً خَضْرَاءً.

وَفَوْجَيُّهُ أَبِي أَحْمَدَ أَنْ قَنَّاصًا تَسْلَلَ إِلَى عَمَارَةِ مَهْمَةٍ مُطْلَةٍ عَلَىْ أَحَدِ التَّقَاطِعَاتِ
(وَهُوَ تَقَاطِعُ الْطَّرِيقِ الْقَدِيمِ مَعْ طَرِيقِ شَارِعِ الْفَرْدَوْسِ) فَقَالَ أَبِي أَحْمَدُ لِأَحَدِ إِخْرَوَةِ
- أَظْنَهُ أَبِي جَعْفَرٍ رَحْمَهُ اللَّهُ - غَطَّيَ عَلَيْهِ بِوَاسِطَةِ الْبَيْكَارِ وَأَنَا أَخْرَجُ أَضْرُبُ مَكَانَ
الْفَنَّاصِ بِصَارُوخٍ مَهْدَاد RBG. وَفَعَلَ الْإِثْنَانِ لَكِنْ أَبِي أَحْمَدَ جَاءَتْهُ طَلْقَةٌ فِي كَلْتَهِ
أَسْقَطَتْهُ أَرْضًا.

وَلَمَّا سُحِبَ إِلَى بَيْتِ مَجاوِرٍ ظَلَّ يَبْكِي وَيَقُولُ يَا رَبَّ شَهَادَةَ لَا جُرْحَاهَا، يَا رَبَّ أَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، يَا رَبَّ إِخْوَانِي، وَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَسْجُبُوهُ مِنْ الْمَعْرَكَةِ رَفَضَ رَكْوبُ
السَّيَّارَةِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ لَا أَخْذَلُ إِخْوَانِي اتَّرْكُوْنِي، فَقَالَ لَهُ أَحَدُ إِخْرَوَةِ اتَّقَ اللَّهَ
إِنْكَ مُجْرُوحٌ، يَشْفِيكَ اللَّهُ وَتَرْجِعُ، فَرَجَعَ وَالْبَكَاءُ هُوَ حَالُهُ، لَا جُزْعًا عَلِمَ اللَّهُ وَلَكِنْ
حُبُّ الْجَهَادِ، ثُمَّ سُحِبَ مِنَ الْجَبَّهَةِ وَانْسَحَبَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنْ إِخْرَوَةِ الْمُشَحَّنِينَ بِالْجَرَاحِ
وَحَاوَلَتُ أَنْ أَسْدِدَ مَكَانَ طَارِقٍ لَكِنْ كُلُّ جَهُودِي ذَهَبَتْ سُدَّيْ وَبِفَقْدِي لَأَبِي أَحْمَدِ
فِي الْجَبَّهَةِ، كُسْرَ الْخَطِّ وَتَقْدِمُ الْعَدُوُّ إِلَى نَزَّالِهِ. فَقَدْ كَانَ طَارِقُ وَاللَّهِ "أَمَّةٌ" كَانَهُ



ألف مقاتل، فلم يستطع أحدٌ قط أنْ يقوم مقامه.

وأثناء نقله إلى الخلف لاحظ أبو جعفر رحمه الله شيئاً على وسطه، حاول فكه لكن طارق صرخ فيه اتركه، وقد كان هذا الشيء هو حزام ناسف يتوّج به جسمه ويثيره في عدوه إذا أضطرر لذلك. فهو الأبي الذي لا يقبل الضّيم وهو الشّجاع الذي لا يحمل ذل العدو.

ولما اقتحم حي نزال دخل الأميركيان بيت أبي أحمد والذي كان جريحاً فيه وعندما رأه الأميركي جريحاً ظنّه أنه عصفور كسيّر تقدّم ليأخذه وحى يلّهه ويضحك به، وفجأة ثار الـبرّكان على هذا الجمّع.

فجّر أبو أحمد طارق الوحش حزاماً فقتل عدداً من علوّج الأميركيان ولبّي نداء ربه بالخلود إلى جوار الصّديقين والشّهداء "نحسّبُه كذلك" ، فنسأّل الله أن يُخلّفَنا في الرّجل خيراً وأن يُعوّضَنا عنه وأن يُلحقنا به في جنّات عدن عند ملِيك مقتدر، فقد كسرَ والله قلبي والّذى لن ينجّي إلا برأيته هناك في الجنة إن شاء الله.

وكتبه:

أبو إسماعيل المهاجر